

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

عرفانية رقيقة لا يمكنهم إغفاؤها، لأنها بمثابة واردات أو هواتف هي سوانح ملكوتية قدسية تفاض على القلوب الواعية. هذا تفسير «كشف الأسرار» للمولى أبي الفضل رشيد الدين الميبدى تفصيلاً وتبييناً لتفسير العارف السالك الخواجا عبداً الأنصاري، تراه جمع بين الظاهر والباطن كلاهما على حده، يفسر القرآن أولاً على نهج أهل الظاهر تفسيراً قويمًا، ثم يعرّج على تفسيره وفق مذاقات أهل الباطن في ظرافة ولباقة، كلاهما في أحسن بيان، مقرراً بأن تفسير الظاهر هو الأصل، ولولاه لما أمكن استخراج الباطن الذي هو الفرع. نعم يرون من تفسير الباطن، اللباب الخائب تحت ذاك العُباب. قال سهل بن عبداً التستري في قوله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَّا كُفْرًا) [140]: يعني: شرك النفس الأمّارة بالسوء. كما قال النبي (صلى الله عليه وآله) «الشرك في أمتي أخفى من ديب النمل على الصفا» [141]. قال: «هذا باطن الآية، وأمّا ظاهرها فمشركو العرب يؤمنون بالله كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ سَأَلَتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ كَمَا عَابَدِ آبَاءَنَا) [142] وهم مع ذلك مشركون يؤمنون ببعض ولا يؤمنون ببعض» [143]. إذن لم يخلط بين ظهر القرآن وبطنه، وذكر كلاهما على حدّه بأمانة، على أن الأخذ بالبطن كان مستنداً إلى النبوي الشريف، مضافاً إلى كونه الأخذ بمفهوم الآية العامّ - حسبما نبهنا - مراعيًا جانب المناسبة القريبة، فقد استجمع شرائط التأويل الصحيح.